بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني

إنَّ الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ، ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

● **أما بعدُ**

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة ، وكل ضلالةٍ في النار .

فإن قيام الليل من أفضل الطاعات، وأجلِّ القربات، بعد الصلوات المفروضات، كما قال الصادق المصدوق – بأبي هو وأمي – فيما أخرجه مسلم (١١٦٣/٢٠٣) عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الصلاة بعد المكتوبة ؟ فقال : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة ، الصلاةُ في جوف الليل » .

ومن أعذب الأحاديث في ذلك ما أخرجه النسائيُّ (٣/ ٢٠٧،٢٠٨) ، وصححه الترمِذيُّ (٢٥٦٨) ، وابن خزيمة (٢٤٥٦) ، وابن حبان (٣٣٤٩ ، ٣٣٥٠ ، ٤٧٧١) ، والحاكم (٢ / ١١٣) عن أبي ذر رضي اللهُ عنه مرفوعًا : « ثلاثة يحبهم الله عز وجل ... » فذكر منهم : « ... وقومٌ ساروا ليلتهم ، حتى إذا كان النوم أحبَّ إليهم مما يُعدل به ، نزلوا ، فوضعوا رؤوسهم ، فقام يتملقني

ويتلو آياتي » . وسنده مقاربٌ . وله طريق آخر صحيحٌ عن أبي ذرٍ أخرجه أحمد (٥ / ١٧٦) ، والطيالسي (٤٦٨) ، والطبرانيُّ في « الكبير » (ج ٢ / رقم ١٦٣٧) ، والبيهقيُّ (٩ / ١٦٠) وفيه : « ... ورجلٌ سافر مع قوم ، فارتحلوا حتى إذا كان من آخر الليل وقع عليهم الكرى- أو النعاس -فنزلوا ، فضربوا برؤوسهم ، ثُمَّ قام فتطهر ، وصلى رغبةً لله عز وجلَّ ، ورغبةً فيما عنده » .

وفضل هذه الصلاة معلومٌ ، وتجدُهُ مع شواهد كثيرة في هذا المجموع الحافل، وسرُّ المسألة أن هذه الصلاة لا يقدر عليها إلا متجردٌ، عظيم الإخلاص، ولله درُّ قتادة بن دعامة إذ قال فيما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢ / ٣٣٨) بسندٍ صحيحٍ: كان يقال : قلما سهر الليل منافق.ولو قال: ما سهر لما أبعد، ولعله احتزر .

وهذا قولٌ صحيحٌ ؛ لأن هذه الصلاة لا تتم للعبد إلا بتجريد الإخلاص، وإذا كان شهود العشاء ثقيلًا على المنافقين – كما في الحديث الصحيح – فما بالُك بجوفَ الليل الآخر ؟!

ولكم هزَّني ما قرأتُهُ منذ سنوات في « ثقات العجلي » (٢٨٠ – ترتيب الهيثمي) في ترجمة حسن بن صالح بن حُيّي أنه باع جاريةً ، فلما صارت عند الذي اشتراها قامت في جوْف الليل ، فقالت : يأيتها الدار ، الصلاة الصلاة ! قالوا : طلع الفجرُ ؟! قالت : وليس تُصلون إلا المكتوبة ؟! قالوا : نعم ، ليس نصلي إلا المكتوبة. فرجعت إلى الحسن وقالت: بعتني إلى قوم سوءٍ ليس يصلون باللَّيْل ، فردني . فردها .

ولكم كنت في رغبة أن أرى مجموعاً في هذا المعنى ، حتى أقرَّ عيني ، وعين كل سُنّي – إن شاء الله – صاحبنا الشيخ سيد بن حسين العفاني بهذا الكتاب فجزاه الله خيرًا .

إن جيلنا – الذي أوتي من الضعف والهوان أضعاف ما أوتي أسلافنا من الجد والقوة – في أمسِّ الحاجة إلى من يشحذ هممهم بعد أن استكانوا واجتمع عليهم أعداؤهم من كل صوبٍ ، وليعلموا أن ما كان عند أسلافنا من العلم إنما وفقوا إليه بجدهم وإخلاصهم دينهم لله تعالىٰ ، وإني لأعرف رجلًا من أكابرهم، ممن يشار إليه بالبنان في العلوم الشرعية إذا أعيته مسألةٌ ، أو ندَّ عنه معنًى يريده يقول كما يخبرُ عن نفسه : حينئذٍ أقوم فأعدُّ لنفسي كوبًا من الشاي ، أو أتلمَّسُ نسمة هواءٍ وأعلل نفسي بأنني متى روحت عنها استعاد الذهنُ نشاطه ، فيمكنه أن يحصل بغيته بعد قليل ، وإن عجز بعد كل ذلك ترك الموضوع إلى حين ميسرة، أين هذا مما حكاه لنا ابن القيم – رحمه الله – عن شيخه وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية – رحمه الله – أنه قال : ربما استغلقت عليَّ المسألةُ فأستغفر الله ألف مرة أو يزيد حتى يفتح لي ، قال : وربما ذهبت إلى الخلوات أمرغ خدي في التراب وأقولُ : يا معلم إبراهيم ، علمني !!

إن هذا المجموع الذي بين يديك – أيها المسلم – مجموعٌ حافلٌ في بابه ، فاحفل به ، ولقد أعلم أنه عانى عليه صاحبه كثيرًا في جمع الأقوال من بطون الكتب وتوثيقها وترتيبها – فلله دره – ولا يُقَدِّرُ ما قلتُهُ إلا من كابد التأليف الجاد. ومن رحمة الله بعباده، ولطفه بهم سبحانه أنه لم يخص بالعلم قومًا دون قومٍ، ولا وقفه على زمن دون زمن ، بل جعله مشتركًا مقسومًا بين عباده ، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول وينبه المقِلَّ منه على ما أعقل عنه المكثر ، ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدِّمٍ ، وتالٍ يعترضُ على ماضٍ ، وإن كان ما عندنا من العلم بالنسبة لمن مضى من أسلافنا، كقطرة في بحر خضم، أو كما قال الأول: فضلُ بُزاق.

وأنا في غنًى عن مدح هذا الكتاب ، فهو ينطق بذلك ، وقد سبقني في التعريف به والثناء عليه صاحبنا الحبيب الشيخ أبو الفرج محمد بن إسماعيل، حفظه الله.

والله أسأل أن ينفع به كما نفع بصاحبه ، وأن يهبه غنمه ، وأن يتجاوز له برحمته

عن غرمه ، وأن يعيننا على شكره وذكره وحسن عبادته .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا **محمد**، وعلى آله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

راجي عفو ربه الغفور

أبو إسحاق الحويني الأثري

حامدًا الله تعالى ، ومصليًا على نبينا

محمدٍ وآله وصحبه

آخر شهر صفر / ١٤١٤ هـ